

**التعلم ظلال الألم: جدلية بيداغوجية في الدراما
المعاصرة**

**Learning Shadows of Pain: A Pedagogical
Dialectic in Contemporary Drama**

م.د. علياء جبار سهيم

Alia Jabar Suhaim

جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة / قسم الفنون المسرحية

University of Basra / College of Fine Arts / Department of
Dramatic Arts

E-mail: <mailto:alyaa.jabbar@uobasrah.edu.iq>

<https://orcid.org/0009-0004-3342-1554>

م.د. سارة سلمان خالد

Sarah Salman Khaled

جامعة البصرة / كلية الفنون الجميلة / قسم الفنون المسرحية

University of Basra / College of Fine Arts / Department of
Dramatic Arts

E-mail: sarah.khalid@uobasrah.edu.iq

<https://orcid.org/0009-0009-4258-6306>

الكلمات المفتاحية: التعلم، ظلال الألم، الجدلية البيداغوجية، الدراما المعاصرة، البيداغوجيا

Keywords: Learning, Shadows of Pain, Pedagogical Dialectic,
Contemporary Drama, Pedagogy

الملخص

يسعى البحث الحالي إلى إستكشاف العلاقة الجدلية بين الألم بوصفه تجربة إنسانية عميقة، والتعلم باعتباره عملية بنائية تهدف إلى إنتاج المعنى وتطوير الوعي وينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن الألم لا يُعد عائقاً أمام التعلم بل يمكن أن يشكّل محفزاً أساسياً له خاصة عندما يتم توظيفه ضمن سياقات تربوية مناسبة وقد ركّز البحث على تحليل دور الدراما المعاصرة كوسيط بيداغوجي فعال، قادراً على تحويل التجارب المؤلمة إلى خبرات تعليمية حيّة إذ تتيح الدراما للمتعلّم إمكانية التفاعل مع المواقف الإنسانية المعقدة، ومعايشة الصراعات النفسية والاجتماعية بطريقة تجريبية، مما يساهم في تنمية الفهم العميق والقدرة على التأويل وبناء وعي نقدي تجاه الذات والواقع كما أبرز البحث أن جدلية العلاقة بين الألم والتعلم تقوم على تفاعل ديناميكي، فالألم يولّد التساؤل والبحث في حين يعمل التعلم على إعادة تفسير الألم وتجاوزه، وتحويله إلى معرفة ذات قيمة وفي هذا الإطار تساهم الدراما في تحقيق ما يُعرف بالبعد التحويلي للتعلم من خلال تفرغ الانفعالات، وتعزيز التعاطف، وإعادة بناء التجربة الإنسانية في سياق تعليمي.

Abstracts

This research addresses the topic “Learning in the Shadow of Pain: A Pedagogical Dialectic in Contemporary Drama”, as it seeks to explore the dialectical relationship between pain as a deep human experience, and learning as a constructive process aimed at producing meaning and developing awareness. The research is based on the basic hypothesis that pain is not an obstacle to learning, but can constitute a basic motivator for it Especially when employed within appropriate educational contexts, the research focused on analyzing the role of contemporary drama as an effective pedagogical medium, capable of transforming painful experiences into living educational experiences. Drama allows the learner to interact with complex human situations and experience psychological and social conflicts in an experimental manner, which contributes to developing deep understanding and the ability to interpret Building critical awareness of self and reality. The research also highlighted that the dialectic of the relationship between pain and learning is based on a dynamic interaction. Pain generates questioning and research, while learning reinterprets and transcends pain, transforming it into valuable knowledge. Within this framework, drama contributes to achieving what is known as the transformative dimension of learning by releasing emotions, enhancing empathy, and reconstructing the human experience within an educational context.

الفصل الأول

مشكلة البحث:

يشهد العالم المعاصر تحولات عميقة في مختلف المجالات الفكرية والثقافية والتربوية، مما أدى إلى إعادة النظر في طبيعة العملية التعليمية وأهدافها، فلم يعد التعلم مجرد عملية تلقين للمعارف أو نقل للمعلومات، بل أصبح تجربة إنسانية معقدة تتداخل فيها الأبعاد النفسية والوجدانية والاجتماعية وفي ظل هذه التحولات برزت الحاجة إلى مقاربات بيداغوجية جديدة تركز على المتعلم بوصفه فاعلاً أساسياً في بناء معرفته، لا مجرد متلقٍ سلبي لها وفي هذا السياق تبرز الدراما المعاصرة كأحد أهم الوسائط التعبيرية التي استطاعت أن تعكس تعقيدات الإنسان الحديث، خاصة ما يتعلق بتجارب الألم والمعاناة والاعتراب. إذ لم تعد الدراما تقتصر على الترفيه أو العرض الجمالي، بل أصبحت مجالاً خصباً لإنتاج المعنى، وفضاءً لتجسيد الصراعات الداخلية والخارجية التي يعيشها الفرد في عالم متغير ومضطرب ومن هنا اكتسبت الدراما بعداً تربوياً جديداً جعلها أداة فعالة في العملية التعليمية وإن الألم بوصفه تجربة إنسانية مشتركة، يمثل أحد أهم المحركات الأساسية للتفكير والتأمل وإعادة بناء الذات. فغالباً ما تدفع الأزمات والتجارب المؤلمة الإنسان إلى طرح الأسئلة العميقة حول ذاته والعالم من حوله، وهو ما يفتح المجال أمام التعلم بوصفه عملية بحث مستمرة عن المعنى. وبالتالي، فإن العلاقة بين الألم والتعلم ليست علاقة تناقض، بل هي علاقة جدلية قائمة على التفاعل والتأثير المتبادل ومن هذا المنطلق، يمكن النظر إلى الدراما المعاصرة كوسيط بيداغوجي قادر على تحويل الألم إلى تجربة تعليمية حية، حيث يتيح للمتعلم فرصة معايشة المواقف الإنسانية المعقدة، وفهمها من الداخل، بدل الاكتفاء بدراستها نظرياً. كما تسهم الدراما في تنمية الحس النقدي والقدرة على التأويل، من خلال ما تتيحه من تعددية في الرؤى وتنوع في المعاني وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يجمع بين مجالات متعددة، تشمل التربية، وعلم النفس والفنون والفلسفة مما يجعله مجالاً خصباً للدراسة والتحليل. كما يكتسب راهنيتها من التحولات التي يعرفها التعليم في العصر الحديث، والحاجة المتزايدة إلى اعتماد أساليب تعليمية تفاعلية تُعنى ببناء الإنسان في كليته، لا في بعده المعرفي فقط وعليه، يسعى هذا البحث إلى استكشاف جدلية التعلم في ظل الألم من خلال الدراما المعاصرة، وذلك من خلال طرح التساؤلات التالية: كيف يمكن تحويل الألم إلى أداة بيداغوجية فعالة؟ وما الدور الذي تلعبه الدراما في تحقيق هذا التحول؟ كما يهدف إلى إبراز الأبعاد التربوية والجمالية لهذه الجدلية، والكشف عن إمكاناتها في تطوير العملية التعليمية.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث الحالي

1- أهمية توظيف الدراما المعاصرة كأداة بيداغوجية حديثة تسهم في تطوير العملية التعليمية والانتقال بها من التلقين إلى التعلم التفاعلي القائم على التجربة.

2- يسلط الضوء على دور الألم كعنصر محفز للتعلم، مما يساهم في تعميق الفهم حول الأبعاد النفسية والوجدانية في بناء المعرفة وتنمية الوعي النقدي لدى المتعلمين.
هدفاً للبحث:

1- الكشف عن طبيعة العلاقة الجدلية بين الألم والتعلم، وبيان كيف يمكن تحويل المعاناة إلى خبرة تعليمية ذات معنى.

2- تحليل دور الدراما المعاصرة في توظيف الألم كوسيط بيداغوجي فعال يساهم في تنمية الجوانب المعرفية والإنسانية لدى المتعلمين.

حدود البحث:

1- الحدود المكانية: تشيلي .

2- الحدود الزمانية: 1990 .

3- الحدود الموضوع: دراسة التعلم ظلال الألم : جدلية بيداغوجية في الدراما المعاصرة

تعريف المصطلحات :

أولاً: البيداغوجيا

أ/ لغوياً

تُشتق كلمة "بيداغوجيا" من الأصل اليوناني *Pedagogy* ، وتعني قيادة الطفل وتوجيهه، حيث كان الشخص المكلف بمرافقة الطفل وتعليمه في اليونان القديمة يُسمى "بيداغوج (Al-Dreij)". (2000, p. 99)

ب/ اصطلاحاً:

علم وفن التربية والتعليم الذي يهتم بدراسة نظريات التعلم وطرائق التدريس، وتنظيم العلاقة بين المعلم والمتعلم داخل الوضعية التعليمية بهدف تحقيق تعلم فعال. (Gharib, 2006, p. 37)

ج/ إجرائياً:

عرفت الباحثة البيداغوجيا إجرائياً.

مجموعة الممارسات والأساليب التعليمية التي تُوظف داخل الدراما المعاصرة لتحويل الألم إلى وضعيات تعليمية تفاعلية تساهم في بناء المعرفة وتنمية الوعي النقدي لدى المتعلمين.

ثانياً: الجدلية :

أ/ لغوياً



"الجدلية: جادله : خاصمه (مجادله) و (جدلاً) و الاسم الجدل و هو الخصومة"
(al-Razi, 2007, p. 101)

ب / اصطلاحاً :

" الجدل هو فن البرهان" (Wahba, 2015, p. 268)

و" الجدل هو المنهج الذي يرتفع العقل به من المحسوس الى المعقول و لا يستخدم شيئاً حسياً بل ينتقل من معانٍ الى معانٍ بواسطة معانٍ" (Wahba, 2015, p. 268)

ج / اجرائياً: عرفت الباحثة الجدل اجرائياً على انه.

عملية التضاد و التناقض الحاصلة بين اكثر من رأي او فكرة و الهدف منها الوصول الى حقيقة او هدفاً ما ،و يكون هذا التضاد بين فكر الشخصيات المسرحية و دوافعها النفسية و الاجتماعية و طبيعة أهدافها و تحفيزها للتمييز بين ما هو مستحيل و ما هو ممكن.

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول

سيمولوجيا الألم: من المعاناة الى المعرفة

يُعدّ الألم من أكثر التجارب الإنسانية تعقيدًا وعمقًا، إذ لا يقتصر حضوره على البعد الجسدي أو النفسي فحسب، بل يتجاوز ذلك ليشكّل بنية دلالية غنية قابلة للتأويل والتحليل ومن هذا المنطلق أصبح الألم موضوعًا خصبًا للدراسة ضمن حقل السيمولوجيا، التي تُعنى بتحليل العلامات والرموز وفهم كيفية إنتاج المعنى داخل الخطابات الإنسانية، ومنها الخطاب الدرامي والتربوي فالألم في هذا السياق لا يُنظر إليه كحالة سلبية فقط بل كعلامة تحمل دلالات متعددة تعكس وضعية الإنسان في العالم إذ إن سيمولوجيا الألم تسعى إلى تفكيك هذه التجربة الإنسانية، عبر قراءة مظاهرها وتجلياتها بوصفها نسقًا من العلامات التي تعبّر عن صراعات داخلية وخارجية يعيشها الفرد، فالتعبيرات الجسدية، والانفعالات النفسية، وحتى الصمت، كلها تشكّل أنظمة دلالية يمكن تحليلها لفهم ما وراء الألم من معانٍ خفية. وبذلك، يتحول الألم من مجرد إحساس ذاتي إلى خطاب قابل للفهم والتفسير في سياق الدراما المعاصرة يكتسب الألم بعدًا تمثيليًا وجماليًا حيث يُعاد إنتاجه من خلال شخصيات وأحداث تعكس الواقع الإنساني بكل تناقضاته فالدراما لا تنقل الألم كما هو، بل تعيد صياغته في قالب رمزي يسمح للمتلقّي بالتفاعل معه وتأويله وفق خبراته الخاصة ومن هنا تصبح الدراما فضاءً سيمولوجيًا غنيًا، تُبنى فيه المعاني عبر التفاعل بين النص والعرض والمتلقّي فإن الانتقال من المعاناة إلى المعرفة يمثل جوهر هذه المقاربة حيث يُنظر إلى الألم كمنطلق لإنتاج الفهم لا كنهاية مغلقة للتجربة. فالمعاناة حين تُقرأ ضمن إطار سيمولوجي، تتحول إلى مصدر للتساؤل والتأمل، مما يفتح آفاقًا جديدة للتعلم وهذا ما يجعل من الألم تجربة تعليمية بامتياز، خاصة عندما يتم توظيفه داخل سياقات بيداغوجية تعتمد على التفاعل والتجريب كما أن هذا التحول يرتبط بقدرة الإنسان على إعادة تأويل تجاربه، إذ لا يُنتج الألم المعرفة بشكل تلقائي بل يتطلب ذلك وعيًا نقديًا يسمح بفهم أبعاده واستخلاص دلالاته وهنا تتقاطع السيمولوجيا مع البيداغوجيا، حيث يلتقي تحليل المعنى مع بناء المعرفة، في عملية ديناميكية تسهم في تطوير الذات.

يُعدّ الألم من أكثر الظواهر الإنسانية تعقيدًا، إذ لا يقتصر على كونه إحساسًا جسديًا أو نفسيًا، بل يتجاوزه ليصبح بنية دلالية قابلة للقراءة والتأويل، فالسيمولوجيا، بوصفها علم العلامات، تهتم بدراسة إنتاج المعنى من خلال الرموز والإشارات والسلوكيات، وهو ما يجعل الألم موضوعًا قابلاً للتحليل بوصفه " نصًا إنسانيًا مفتوحًا " (Abdul Karim , 2006, p. 41)

إن التعبير عن الألم لا يتم دائماً باللغة المباشرة، بل قد يظهر عبر الجسد، الصمت، الانفعال، أو حتى السلوك الاجتماعي مما يحوله إلى منظومة من العلامات التي تحتاج إلى تفكيك دلالي ومن هنا يصبح الألم خطاباً غير مباشر يحمل معاني متعددة تتغير حسب السياق الثقافي والاجتماعي.

وفي هذا السياق، يكون التعلم لا ينفصل عن التجربة الحياتية للمتعلم، بل يتأسس على التفاعل مع الواقع بما فيه من توتر وصعوبات (Al-Dreij, 2000, p. 63) وهذا يعني أن الألم يمكن أن يشكل مدخلاً معرفياً إذا تم التعامل معه بوصفه تجربة ذات معنى.

ومن ناحية أخرى يتضح أن العملية التعليمية الحديثة تعتمد على تحليل الوضعيات التعليمية باعتبارها أنساقاً دلالية، وليس مجرد محتوى معرفي جاهز (Ozi, 2006, p. 121) وهذا يتقاطع مع السيميولوجيا في فهم الظواهر الإنسانية باعتبارها علامات قابلة للتأويل، كما أن الألم في بعده السيميولوجي لا يفهم بمعزل عن السياق الثقافي، إذ تختلف دلالاته من مجتمع إلى آخر فالثقافة تلعب دوراً مهماً في تشكيل طريقة التعبير عن الألم وفهمه، مما يجعله ظاهرة متعددة الطبقات الدلالية، في المجال التربوي، يظهر توظيف الخبرات الإنسانية في التعليم، خاصة تلك المرتبطة بالانفعال والتجربة يساهم في تعميق التعلم وجعله أكثر فاعلية (Shehata, 2008, p. 95) وهنا تتجلى أهمية الدراما بوصفها وسيطاً تربوياً يعيد إنتاج الألم في شكل رمزي.

كما أن البيداغوجيا الحديثة لم تعد تركز على التلقين، بل على بناء المعنى من خلال التفاعل مع الوضعيات المشكّلة (Gharib, 2006, p. 52) وهذا ما يجعل الألم عنصراً محفزاً للتفكير وليس عائناً أمامه، ومن منظور سيميولوجي، يتحول الألم إلى علامة متعددة الأبعاد، تحمل في طياتها دلالات نفسية واجتماعية وثقافية، ويمكن تفكيكها لفهم بنية التجربة الإنسانية، فكل تجربة ألم هي نص مفتوح يحتاج إلى قراءة وتأويل.

في هذا الإطار يتبين أن التعلم الحقيقي يحدث عندما يواجه المتعلم وضعيات صعبة تخلق لديه نوعاً من "القلق المعرفي" الذي يدفعه إلى البحث عن حلول (Ghanem, 2012, p. 77). كما أن المعرفة لا تُبنى بشكل خطي، بل عبر صراعات وتجارب وإعادة بناء مستمرة للخبرة وهذا يؤكد أن الألم يمكن أن يكون جزءاً من عملية البناء المعرفي وعليه، فإن سيميولوجيا الألم تفتح المجال أمام قراءة جديدة للتجربة الإنسانية، حيث لا يُنظر إلى المعاناة كحالة سلبية فقط، بل كمنبع لإنتاج المعنى، ومن هنا يتحول الألم إلى أداة معرفية عندما يتم تأويله داخل سياقات تربوية ودرامية.

كما أن الدراما المعاصرة تلعب دورًا مهمًا في هذا التحول، إذ تعيد تشكيل الألم في صور رمزية تسمح للمتلقي بفهمه والتفاعل معه، مما يعزز التعلم القائم على التجربة والانفعال (Al Farabi, 2015, p. 66).

المبحث الثاني

تمثلات الألم وبيداغوجيا التلقي في النص المسرحي المعاصر

يشكل الألم تجربة إنسانية كونية رافقت الإنسان منذ بدايات وعيه بذاته وبالعالم، إذ لا يكاد يخلو وجود بشري من أشكال متعددة من المعاناة، سواء كانت جسدية أم نفسية أم وجودية وقد حظي هذا المفهوم باهتمام بالغ في مختلف الحقول المعرفية من الفلسفة إلى علم النفس وصولًا إلى الأدب والفنون حيث أصبح الألم مادة خصبة للتعبير والإبداع وفي هذا السياق، يبرز المسرح بوصفه فنًا حيًا قادرًا على تجسيد الألم في صور متعددة، تتراوح بين الواقعي والرمزي وبين الفردي والجماعي لقد عرف المسرح خاصة في شكله المعاصر تحولات جذرية على مستوى الرؤية والبناء والأسلوب مما جعله يفتح على قضايا الإنسان المعاصر وهوموم العميقة ولم يعد النص المسرحي يكتفي بسرد الأحداث أو تقديم حبكة تقليدية بل أصبح فضاءً لتفجير الأسئلة الوجودية الكبرى وفي مقدمتها سؤال الألم والمعاناة فالألم في النص المسرحي المعاصر لم يعد مجرد عنصر درامي وظيفي بل تحوّل إلى بنية جمالية ودلالية تُسهم في تشكيل المعنى وتوجيه القراءة. تتجلى تمثلات الألم في المسرح المعاصر من خلال شخصيات مأزومة تعاني من الاغتراب، والقلق، والانكسار، في عالم يزداد تعقيدًا وتوترًا كما يظهر الألم في اللغة المسرحية ذاتها التي تميل أحيانًا إلى التوتر والانكسار والتشظي، معبرة بذلك عن حالة التمزق التي يعيشها الإنسان الحديث ولا يقتصر الأمر على النص فقط، بل يمتد إلى العرض المسرحي حيث تُستثمر عناصر الإخراج والسينوغرافيا لتجسيد الألم بصريًا وسمعيًا وفي مقابل هذا الحضور الكثيف للألم، برزت بيداغوجيا التلقي كأحد المقاربات النقدية الحديثة التي تعيد الاعتبار لدور المتلقي في العملية الإبداعية فالمتلقي لم يعد مجرد مستقبل سلبي للرسالة بل أصبح شريكًا في إنتاج المعنى من خلال تفاعله مع النص وتأويله وفقًا لمرجعياته الثقافية وخبراته الجمالية ومن هذا المنظور فإن فهم تمثلات الألم في النص المسرحي لا يكتمل إلا باستحضار دور المتلقي في تفكيك هذه التمثلات وإعادة تركيبها

(Al-Ghadami, 2000, p. 66) إن بيداغوجيا التلقي تنطلق من فكرة أساسية مفادها أن المعنى لا يوجد بشكل جاهز داخل النص، بل يتشكل في لحظة التفاعل بين النص والمتلقي وبالتالي فإن الألم الذي يقدمه النص المسرحي لا يُفهم بطريقة واحدة بل تتعدد دلالاته بتعدد

القراءات والتأويلات وهذا ما يمنح النص المسرحي المعاصر طابعاً مفتوحاً، يسمح بإنتاج معانٍ جديدة في كل قراءة.

من هنا فإن العلاقة بين تمثلات الألم وبيداغوجيا التلقي علاقة تكاملية حيث يسهم الألم في تحفيز المتلقي على التفكير والتأمل في حين تتيح بيداغوجيا التلقي آليات لفهم هذا الألم وتأويله فالمسرح المعاصر لا يسعى فقط إلى عرض الألم بل إلى إشراك المتلقي في معاشته وفهم أبعاده، مما يجعله تجربة جمالية وفكرية في آن واحد كما أن تمثلات الألم في النص المسرحي المعاصر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياقات الاجتماعية والسياسية التي أنتجته حيث يعكس النص معاناة الإنسان في ظل التحولات الكبرى التي يشهدها العالم، من حروب وأزمات اقتصادية إلى تفكك القيم وتراجع المعنى، وبذلك يصبح الألم وسيلة لفضح الواقع وكشف تناقضاته، كما يصبح أداة للمقاومة والتعبير عن الرفض وفي هذا الإطار يمكن القول إن المسرح المعاصر قد أعاد تعريف وظيفة الفن فلم يعد يهدف فقط إلى الترفيه أو التطهير بل أصبح يسعى إلى إثارة الوعي وتحفيز التفكير النقدي لدى المتلقي ومن خلال تمثلات الألم يتمكن النص المسرحي من اختراق وعي المتلقي ودفعه إلى إعادة النظر في مواقفه وقناعاته، إن دراسة تمثلات الألم في ضوء بيداغوجيا التلقي تتيح فهماً أعمق للنص المسرحي المعاصر إذ تكشف عن الأبعاد الخفية للمعنى، وتبرز دور المتلقي في إغنائه، كما تفتح هذه الدراسة آفاقاً جديدة للبحث في العلاقة بين الأدب والمتلقي، وبين النص وسياقه، وبين الجمال والمعاناة (Al-Masdi, 1994 , p. 52)وعليه يسعى هذا الموضوع إلى استكشاف كيفية تجسد الألم في النص المسرحي المعاصر، وتحليل تمثلاته المختلفة، سواء على مستوى الشخصيات أو اللغة أو البناء الدرامي كما يهدف إلى إبراز دور بيداغوجيا التلقي في فهم هذه التمثلات وتأويلها ومن خلال ذلك، يمكن الوصول إلى رؤية شاملة تبرز تفاعل النص والمتلقي في إنتاج المعنى وتؤكد على أهمية المسرح كفضاء للحوار والتفكير ويعدّ الألم من أكثر المفاهيم حضوراً في التجربة الإنسانية، إذ يتجاوز كونه إحساساً فردياً ليصبح ظاهرة ثقافية وجمالية تتجسد في مختلف أشكال التعبير الفني، وفي مقدمتها المسرح، وقد أولى المسرح المعاصر عناية خاصة لهذا المفهوم، حيث تحوّل الألم إلى أداة تعبيرية تكشف عن أزمات الإنسان في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية والوجودية، ولم يعد الألم يُقدّم بوصفه معطى جاهزاً أو حدثاً درامياً عابراً، بل أصبح بنية عميقة تتغلغل في النسيج الدرامي، وتؤثر في بناء الشخصيات وتشكيل اللغة المسرحية تتجلى تمثلات الألم في النص المسرحي المعاصر من خلال صور متعددة، تبدأ من المعاناة الجسدية لتصل إلى أعمق أشكال القلق الوجودي فالشخصيات المسرحية غالباً ما تظهر في حالة اغتراب عن ذاتها وعن العالم تعاني من فقدان المعنى والانتماء، وهو ما يعكس طبيعة الإنسان المعاصر الذي يعيش في عالم متسارع

ومضطرب ويظهر هذا جلياً في النصوص التي تنتمي إلى تيارات مثل مسرح العبث (Fadl, 1992, p. 45)، حيث يتخذ الألم طابعاً عبثياً يعكس لا معقولية الوجود كما يتجسد الألم في اللغة المسرحية التي تميل إلى التوتر والانكسار حيث تُستبدل الجمل المتناسكة بخطاب متشظٍ يعكس حالة التمزق الداخلي للشخصيات، فاللغة لم تعد مجرد وسيلة للتواصل بل أصبحت حاملة للألم ذاته تعكس اضطراب الذات وتككها ويُلاحظ أن النصوص المسرحية المعاصرة تعتمد على الصمت بقدر اعتمادها على الكلام حيث يصبح الصمت تعبيراً عن الألم الذي يعجز اللسان عن الإفصاح عنه ولا يقتصر حضور الألم على مستوى النص، بل يمتد إلى العرض المسرحي حيث تُوظف عناصر السينوغرافيا والإضاءة والموسيقى لتجسيد الألم بصرياً وسمعيّاً. فالإضاءة الخافتة والديكورات البسيطة أو المفككة، والحركات الجسدية المتوترة، كلها عناصر تسهم في خلق جو درامي يعكس المعاناة الإنسانية، وهكذا يصبح الألم تجربة حسية يعيشها المتلقي، وليس مجرد فكرة يتلقاها في هذا السياق، تبرز بيداغوجيا التلقي كإطار نظري يسعى إلى فهم العلاقة بين النص والمتلقي، حيث تؤكد على أن المعنى لا يُنتج بشكل أحادي من قبل المؤلف، بل يتشكل من خلال تفاعل المتلقي مع النص، وقد ساهمت هذه المقاربة في إعادة الاعتبار لدور المتلقي، الذي لم يعد عنصراً سلبيّاً، بل فاعلاً أساسياً في إنتاج الدلالة تنطلق بيداغوجيا التلقي من فرضية مفادها أن النص الأدبي يحتوي على فراغات أو مناطق غير مكتملة تتطلب من المتلقي ملأها من خلال تأويله الخاص وفي هذا الإطار فإن تمثلات الألم في النص المسرحي لا تُفهم بشكل مباشر، بل تحتاج إلى جهد تأويلي يكشف عن دلالاتها العميقة، فالمتلقي بما يمتلكه من خلفية ثقافية وتجربة حياتية يسهم في إعادة إنتاج معنى الألم وقد يضيف عليه دلالات تختلف عن تلك التي قصدها المؤول ومن هنا فإن العلاقة بين تمثلات الألم وبيداغوجيا التلقي علاقة تفاعلية، حيث يسهم الألم في تحفيز المتلقي على التفكير والتأمل في حين توفر بيداغوجيا التلقي الأدوات اللازمة لفهم هذا الألم وتأويله، فالمسرح المعاصر لا يهدف فقط إلى عرض المعاناة، بل يسعى إلى إشراك المتلقي في معاشتها، مما يجعله شريكاً في التجربة الجمالية وتتعدد استجابات المتلقين لتمثلات الألم حيث تختلف باختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية فقد يرى متلقٍ ما في الألم تعبيراً عن واقع اجتماعي معين، بينما يراه آخر تجسيداً لأزمة وجودية عامة، وهذا التعدد في التأويلات يعكس غنى النص المسرحي المعاصر، وقدرته على استيعاب قراءات متعددة كما أن بيداغوجيا التلقي تتيح فهماً أعمق للوظيفة التربوية للمسرح حيث يمكن للنص المسرحي أن يسهم في تنمية الوعي النقدي لدى المتلقي، من خلال دفعه إلى التفكير في قضايا الألم والمعاناة (Fadl, 1992, p. 46) فالمسرح لا يكتفي بعرض الواقع، بل يسعى إلى تغييره، من خلال إثارة التساؤلات وتحفيز التفكير.

وفي ضوء ذلك يمكن القول إن تمثلات الألم في النص المسرحي المعاصر لا تنفصل عن السياق الذي أنتجها بل تعكس تحولات المجتمع وأزماته فالحروب، والأزمات الاقتصادية، والتغيرات الثقافية، كلها عوامل تسهم في تشكيل هذه التمثلات وتجعل من الألم موضوعاً مركزياً في الخطاب المسرحي إن دراسة تمثلات الألم في ضوء بيداغوجيا المتلقي تفتح آفاقاً جديدة لفهم النص المسرحي حيث تكشف عن التفاعل المعقد بين النص والمتلقي وتبرز دور التأويل في إنتاج المعنى كما تؤكد على أن الألم رغم طابعه السلبي يمكن أن يكون مصدراً للإبداع والتفكير وأن يسهم في بناء وعي إنساني أكثر عمقاً وعليه فإن هذا المبحث يسعى إلى إبراز الكيفية التي يُجسّد بها الألم في النص المسرحي المعاصر ودور المتلقي في فهم هذه التمثلات وتأويلها، بما يحقق تفاعلاً خلاقاً بين النص والجمهور، ويجعل من المسرح فضاءً حياً للحوار والتفكير (Azzam, 2003, p. 112) وتجد الباحثة أن تمثلات الألم في المسرح المعاصر تتميز بجملة من الخصائص التي تعكس تحولات الرؤية الفنية والإنسانية، ومنها الطابع الوجودي للألم إذ لم يعد الألم مجرد معاناة سطحية، بل أصبح مرتبطاً بأسئلة الوجود الكبرى مثل العبث، الموت، واللاجدوى، حيث تعيش الشخصيات حالة قلق دائم، وكذلك التداخل بين الفردي والجماعي الذي يتجاوز الألم حدود التجربة الفردية فيه ليعكس أزمات جماعية مثل الحروب، القمع، والاغتراب الاجتماعي. أما التشظي والانكسار فيظهر الألم فيها على شكل تفكك داخلي للشخصيات، ويتجلى ذلك في اضطراب السلوك وانهيار العلاقات الإنسانية. أما فيما يتعلق بالرمزية والإيحاء (Benkrad, 2003, p. 78) يُعبّر عنها الألم غالباً بطريقة غير مباشرة، عبر الرموز والصور الفنية بدل الطرح الواقعي المباشر. ولحضور الصمت دوراً مهماً حيث يُعد الصمت عنصراً أساسياً في التعبير عن الألم، حيث يعكس ما تعجز اللغة عن قوله. وتكسر البنية التقليدية يتجلى الألم فيها من خلال تحطيم الحكمة الكلاسيكية، واعتماد بنى مفتوحة وغير خطية تعكس الفوضى الداخلية. وكذا الحال في التوظيف الجسدي والبصري الذي يُجسّد الألم فيه من خلال الجسد، الحركات، والإضاءة، وليس فقط عبر الحوار (Benkrad, 2003, p. 79).

أما بيداغوجيا المتلقي تجدها الباحثة تقوم على مجموعة من الخصائص التي تعيد تعريف دور المتلقي، منها، مركزية المتلقي التي أصبح المتلقي فيها عنصراً أساسياً في إنتاج المعنى، وليس مجرد مستقبل سلبي. وتعدد التأويلات في النص المسرحي تجعله مفتوح على قراءات متعددة، ولا يقتصر على معنى واحد ثابت. وإيضاً أفق التوقع الذي يتفاعل فيه المتلقي مع النص بناءً على خبراته السابقة وثقافته، مما يؤثر في فهمه. وملء الفراغات التي تكون على هيئة فجوات دلالية داخل النص ويدعو المتلقي إلى استكمالها وتأويلها. مما يؤدي إلى التفاعل الجمالي والفكري الذي

لا يقتصر المتلقي على الفهم، بل يشمل التأثير والانخراط الوجداني بطابع الديناميكي للمعنى الذي يتغير بتغير المتلقي والسياق، مما يجعل النص حياً ومتجدداً. (Nazim, 2004, p. 134)

أما فيما يتعلق بخصائص العلاقة بين الألم والمتلقي فإن الباحثة ترى ان التفاعل الوجداني مع الألم يحفز المتلقي على التعاطف والانخراط العاطفي. (Barada, 1987, p. 59) وإثارة التفكير الذي يدفع الألم المتلقي إلى طرح أسئلة حول الواقع والوجود. فيشارك في إنتاج المعنى حيث لا يكتمل معنى الألم إلا عبر تأويل المتلقي، والذي يتأتى من الصدمة الجمالية والتي يعتمد المسرح المعاصر على إحداثها وهذه الصدمة الفكرية والجمالية تحرك وعي المتلقي وتتسم تمثلات الألم في المسرح المعاصر بالعمق والتعقيد حيث تتداخل مع بنية النص ولغته بينما تقوم بيداغوجيا التلقي على تفعيل دور المتلقي في فهم هذه التمثلات، مما يجعل العملية المسرحية تفاعلاً حياً بين النص والجمهور. (Wannous, 1996, p. 23)

مؤشرات الإطار النظري:

- 1- تحديد مفهوم الألم بوصفه تجربة إنسانية متعددة الأبعاد (نفسية، اجتماعية، وجودية)، ليتحول إلى عنصر جمالي داخل النص المسرحي.
- 2- انتقال المسرح من الشكل التقليدي إلى أشكال حديثة (تفكيك الحكمة، كسر التسلسل الزمني، التشظي)، وانعكاس ذلك على تمثيل الألم.
- 3- أصبحت طبيعة اللغة في النص المعاصر (التكثيف، الرمزية، الصمت، التشظي) لتؤدي دورها في التعبير عن الألم.
- 4- التركيز على الشخصيات المأزومة والمغتربة، وكيف تجسد الألم من خلال أفعالها وخطابها.
- 5- توظيف السيميائيات في القراءة والاعتماد عليها بتحليل العلامات والرموز لفهم تمثلات الألم داخل النص المسرحي.
- 6- استحضار دور المتلقي في إنتاج المعنى، من خلال مفاهيم مثل (أفق التوقع، ملء الفراغات، والتأويل).
- 7- ربطت بين تمثلات الألم والظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي أنتجت النص المسرحي.

الفصل الثالث / إجراءات البحث

أولاً: مجتمع البحث

يتحدد مجتمع البحث في النصوص الدرامية المعاصرة التي تتخذ من الألم الإنساني محوراً بنيوياً في إنتاج المعنى من خلال التقاطعات النفسية والسياسية والاجتماعية التي تتخذ من سياق القمع والعنف أداة لكشف الحقيقة وإعادة التوازن ما بين الفرد ومحيطه.

ثانياً: عينة البحث

اختارت الباحثة قصدياً نموذج عينة بحثها الحالي مسرحية عالمية معاصرة هي (مسرحية الموت والعذراء) للكاتب التشيلي أرييل دورفمان (Ariel , 2014) للأسباب الآتية:

- 1- العينة ضمن الحدود الزمانية والمكانية المحددة في الإطار المنهجي للبحث.
- 2- المسرحية تحتوي على الكثير من الإرهاصات النفسية والفكرية والاجتماعية مما يتيح للباحثة الوصول الى نتائج جديدة تخدم هدف البحث الحالي.

ثالثاً: منهج البحث

اعتمدت الباحثة في تحليل انموذج عينة بحثها على المنهج الوصفي لتحليل محتوى العمل فضلاً عن، ما نتج عنه الإطار النظري من مؤشرات كمحكات معرفية.

رابعاً: أداة البحث

ان الأداة المناسبة لهذا النوع من البحوث هي تحليل المحتوى (التحليل النصي) والتي تفكك البنية النصية وتكشف الانساق الدلالية لإنتاج المعرفة داخل الفعل الدرامي ورصد تمثلات البيداغوجيا داخل النص.

خامساً: تحليل العينة (مسرحية الموت والعذراء)

تُعدّ مسرحية " الموت والعذراء" للكاتب التشيلي (أرييل دورفمان) من أبرز النصوص المسرحية المعاصرة التي عالجت موضوع الألم في أبعاده النفسية والسياسية، حيث تنطلق من سياق ما بعد الديكتاتورية في أمريكا اللاتينية، لتطرح إشكالية العدالة والذاكرة والانتقام و تُبرز مسرحية "الموت والعذراء" كيف يمكن للألم أن يتحول إلى عنصر مركزي في بناء النص المسرحي، حيث يتداخل النفسي بالسياسي، والذاتي بالجماعي كما تؤكد على دور المتلقي في تأويل الأحداث وفهم الحقيقة، مما يجعلها نموذجاً غنياً لدراسة تمثلات الألم في ضوء بيداغوجيا التلقي، والذي تأسس بوصفه مفارقة مركزية بيداغوجية تكشف ان الألم يُنتج معرفة من العُتمة، فالشخصيات لا تتعلم رغم الألم بل تتعلم من خلال ذلك الألم ، وبناء على ماتقدم ، ارتأت الباحثة تنظيم التحليل ضمن تسلسل دلالي يتجلى في المحاور الآتية :

1- تمثلات الألم في المسرحية:

يتجسد الألم في هذه المسرحية بشكل عميق ومركب، بوصفه بنية درامية تتجاوز التجربة النفسية لتكون نسقاً دلالياً متداخلاً بتجاربه المتراكمة، حيث تعاني البطلة (باولينا) من صدمة نفسية ناتجة عن تعرضها للتعذيب والاعتصاب خلال فترة القمع السياسي. وهذا الألم لا يظهر فقط كذكرى، بل كحالة مستمرة تسيطر على وعيها وسلوكها. فالألم هنا نفسي: يتمثل في الخوف، القلق، والاضطراب الداخلي والم جسدي: مرتبط بتجربة التعذيب والم وجودي: يتجلى في فقدان الثقة في

العدالة والحقيقة. كما أن الألم في المسرحية لا يُعرض بشكل مباشر فقط، بل يُستعاد عبر الذاكرة، مما يجعله أكثر تأثيراً وعمقاً يعكس تعقيدات الانسان في مواجهة الماضي.

2- الصراع الدرامي وبنية الألم

يقوم الصراع في المسرحية على بنية الألم بوصفها القوة المحركة للفعل الذي يتجسد الصراع فيها بمستويين الأول داخلي (تمزق الذات) والثاني خارجي (مواجهة بين بولينا والأخر) فيتحول الصراع الى بنية مركبة (الضحية باولينا / والجلاد المحتمل روبرتو) وهذا الصراع لا يُحسم بسهولة، بل يبقى مفتوحاً، مما يعكس تعقيد الحقيقة وصعوبة الوصول إلى العدالة فالألم هنا ليس مجرد تجربة فردية، بل يتحول إلى قضية أخلاقية تتمحور حول إمكانية تحقيق العدالة خارج القانون؟

3- اللغة المسرحية وتجسيد المعاناة

في مسرحية (الموت والعذراء) تتجاوز اللغة وظيفتها التواصلية لتُصبح أداة درامية تُعيد انتاج المعنى وتمثيل الألم بامتداد التجربة الجسدية والنفسية للشخصية وفي هذا السياق تتميز اللغة في المسرحية بـ (التوتر والانفعال / التكرار (خاصة في استعادة الأحداث) / المزج بين الصمت والكلام)، الصمت في كثير من اللحظات يكون أكثر تعبيراً عن الألم من الكلام، حيث يعكس العجز عن وصف التجربة الصادمة. أما الحوارات تتحول الى مواجهات يتكشف عنها اختلاف الرؤى بين شخص النص إذ نجد خطاب (بولينا) يعتكز على الانفعال واليقين الناتج عن التجربة، أما (جيراردو) فإنه يتحدث بالمنطق العقلي باحثاً عن التوازن، و (روبرتو) يمتاز خطابه بالانكار والمراوغة، وعليه فإن هذا التباين الخطابي الوجودي يعكس هشاشة العلاقة ما بين اللغة و الحقيقة.

4- الرمزية في المسرحية

تحمل المسرحية دلالات رمزية عميقة تكثف المعنى وتحيل النص الى أفق التأويل ، ومن أبرزها عنوان المسرحية

(الموت والعذراء) الذي يحيل إلى ثنائية (البراءة والانتهاك / الحياة و الموت) فالعنوان هنا يؤسس لفضاء دلالي يُتيح قراءة التجربة النصية بوصفها صراع ما بين الثنائيات المرمزة . أما الموسيقى (شوبرت) تمثل رابطاً بين الضحية والجلاد، وتعيد استحضار الألم. وهنا يصبح الألم مرتبطاً بالذاكرة الحسية (الصوت، الإحساس) التي تجتاز البعد الحسي واستحالة الانفصال عن التجربة الماضية بوصف الصوت علامة مركزية في الخطاب النصي والبيت هنا يرمز دلاليّاً الى انقلاب القيم (الخاص يتحول عام / الامان يتحول تهديد)، وهنا تعبر الشخصيات حدودها لتعبر عن أنماط بشرية سلوكية وبنوية.

5- بيداغوجيا التلقي في المسرحية

تكشف هذه المسرحية نمطاً واضحاً لتفعيل دور المتلقي، المتلقي هنا مشارك معرفياً وأخلاقياً مبتعداً عن الاستهلاك الجمالي للخطاب، حيث لا تقدم حقيقة نهائية حول هوية الجراد وتترك النهاية مفتوحة إذ تدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف أخلاقي وبذلك، يصبح المتلقي مشاركاً في الحكم ومساهمًا في إنتاج المعنى، فهل روبرتو مذنب فعلاً؟ أم أن الألم دفع باولينا إلى الوهم؟ هذا السؤال يُترك للمتلقي، مما يعزز دور بيداغوجيا التلقي. وفي هذا السياق يُبنى التلقي وهو قائم على فعل التأويل وإعادة إنتاج المعنى من خلال تساؤلات إشكالية تُستثار لدى المتلقي ومنها: هل العنف السابق يبرر العنف الواقع؟ هل القانون كافٍ؟ هل يكفي الفرد كدليل؟ فيتورط المتلقي حسيًا ليشترك في التجربة التكوينية لبيداغوجيا الألم والمعرفة الدلالية المتداخلة مع الوعي الجمعي.

6- العلاقة بين الألم والتلقي

تنجح المسرحية في خلق تعاطف عميق مع الضحية وإثارة التوتر والشك لدى المتلقي ودفعه إلى التفكير في قضايا العدالة والذاكرة، وهنا يتحول الألم من تجربة فردية إلى تجربة مشتركة بين النص والمتلقي. فنتأسس علاقة ما بين الألم والمتلقي بوصفه مشاركاً ضمناً في المعاناة، فالألم هنا ينتقل خبرياً إلى وعي المتلقي عبر الخطاب النصي (درامياً، لغوياً، حسيًا)، وفي هذا السياق تفهم أبعاد الألم من خلال سعي المتلقي لملئ الفراغات التي تتخلل النص.

7- البعد الاجتماعي

تعكس المسرحية بعد اجتماعي يتجاوز الأطر الفردية للشخصيات لتعكس بنية مجتمع متكامل و واقع المجتمعات الخارجة من الاستبداد، حيث تغيب العدالة الكاملة و تبقى الذاكرة مفتوحة لتصف أحداث تداخلت فيها آثار العنف وفي هذا السياق تجسد البعد الاجتماعي في مسرحية (الموت و العذراء) من خلال ثنائية (الذاكرة و النسيان) وجدلية الرغبة في الحفاظ على الاستقرار ، حيث مثلت (بولينا) صوت الذاكرة التي ترفض الصمت ، و (جيراردو) مثل التوجهات الاجتماعية بينما عكس (روبرتو) البناء السلطوي المتخفي خلف المظاهر الاجتماعية وهذا ما يكشف هشاشة العدالة في احتواء التجارب العنيفة للفرد وعدم كفاية القوانين ومنها يتجه إلى التفكك الاجتماعي بتحول الآخر إلى تهديد .

الفصل الرابع النتائج والاستنتاجات

أولاً: النتائج

- 1- أظهر البحث أن الألم في النص المسرحي المعاصر لم يعد مجرد عنصر درامي، بل أصبح بنية دلالية وجمالية تعكس أزمات الإنسان النفسية والاجتماعية والوجودية.
- 2- تبين أن تمثيلات الألم تتجلى عبر اللغة المسرحية، والشخصيات المأزومة، والبنية الدرامية المفتوحة التي تعكس حالة التشظي والاعتراب.
- 3- أثبتت الدراسة أن بيداغوجيا التلقي تسهم في جعل المتلقي شريكاً أساسياً في إنتاج المعنى من خلال التأويل وملء الفراغات النصية.
- 4- كشفت النتائج أن التفاعل بين الألم والمتلقي يخلق تجربة جمالية وفكرية عميقة تتجاوز حدود الفرجة التقليدية.

ثانياً: الاستنتاجات

- 1- النص المسرحي المعاصر يعتمد على تمثيل الألم بوصفه وسيلة لطرح الأسئلة الوجودية وإثارة الوعي النقدي.
- 2- المعنى في المسرح لا يُنتج داخل النص فقط، بل يتشكل من خلال تفاعل المتلقي مع العلامات والدلالات.
- 3- بيداغوجيا التلقي أعادت الاعتبار لدور الجمهور، وجعلت من عملية الفهم فعلاً تشاركياً.
- 4- الألم في المسرح المعاصر يتحول إلى أداة لفهم الواقع وإعادة مساءلته.

ثالثاً: التوصيات

- 1- ضرورة الاهتمام بدراسة النصوص المسرحية المعاصرة التي تعالج قضايا الألم والاعتراب بشكل أعمق.
- 2- إدماج مقاربة بيداغوجيا التلقي في تحليل النصوص الأدبية والمسرحية داخل الدراسات الجامعية.
- 3- تعزيز دور المتلقي في الدراسات النقدية بوصفه عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى.

رابعاً: المقترحات

- 1- إجراء دراسات مقارنة بين تمثيلات الألم في المسرح العربي والمسرح العالمي المعاصر.
- 2- دراسة أثر بيداغوجيا التلقي في المسرح المدرسي والتربوي وتنمية الحس النقدي لدى المتعلمين.



References:

1. A. A. (2015). *Pedagogy of learning and knowledge building*. Beirut: Lebanon: Dar Al Fikr Al Arabi.
2. A. D. (2014). *Death and the Virgin, translated by Ali Kamel*. Baghdad: Al-Mada House for Culture and Publishing.
3. A. G. (2006). *Pedagogy: concepts and approaches*. Casablanca: Morocco: Alam Al-Tarbiyah Publications.
4. A. M. (2003). *Analyzing literary discourse in light of modern critical approaches*. Damascus: Arab Writers Union.
5. A.-D. M. (2000). . *Introduction to pedagogy*. Casablanca: Morocco: University Book House.
6. A.-D. M. (2000). *Introduction to pedagogy*. Casablanca: Morocco: University Book House.
7. A.-G. A. (2000). *Sin and Atonement: From Structuralism to Anatomical*. Casablanca: Arab Cultural Center.
8. A.-M. A. (1994). *Stylistics and style*. Tunisia: Arab Book House.
9. a.-R. A. (2007). *Mukhtar al-Sihah 2nd ed*. Beirut: Dar al-Ma'rifah.
10. B. M. (1987). *Novel questions*. Casablanca: Dar Toubkal .
11. B. S. (2003). *Semiotics: concepts and applications*. Damascus: Dar Al-Hiwar .
12. F. S. (1992). *Rhetoric and textual science*. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Letters .
13. G. A. (2006). . *Pedagogy: concepts and approaches*. Casablanca: Morocco: Publications of the World of Education.
14. G. I. (2012). *Issues in modern education*. Rabat: Morocco: Alam Al-Tarbiyah Publishing.
15. Murad Wahba,. (1998). *The Philosophical Dictionary*. Cairo: Quba Printing, Publishing and Distribution House, .
16. N. H. (2004). *Concepts of poetics: a comparative study in principles and method*. Casablanca: Arab Cultural Center .
17. O. A. (2006). *Educational dictionary*. Casablanca: , Morocco: New Success Press.
18. S. H. (2008). *Teaching and learning in light of modern educational trends*. Cairo: Egypt: Egyptian Lebanese House.
19. W. M. (2015). *The Philosophical Dictionary*. Cairo: Misr Printing, Publishing and Distribution Press.
20. W. S. (1996). *Data for a new Arab theatre*. Damascus: Dar Al Fikr.